سوق الغزل كانت وما زالت مساحة ارض صغيرة في شارع الجمهورية لم يصبها الاهتمام بشيء من جميع الحكومات المتعاقبة ،بقدر ما نالها الإرهاب والإهمال بالكثير من العبث والتفجير ، بداية السوق تبدأ بمحال صغيرة لبيع الحبوب الجافة والبقوليات والأعشاب وتمتد قليلاً إلى الغرب نحو محال أخرى لبيع الطيور الأليفة وبعض الطيور البرية النادرة كالببغاوات والصقور والطواويس، وإلى يمين السوق تقع منارة سوق الغزل وجامعها القديم، والتي على مر القرون أصاب الجامع والمنارة القدم والتصدع ، ولكن بعد ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958 جُدد بناء المنارة وشُيد في ساحة الجامع القديمة جامع "الخلفاء" الشاهد على الطراز الإسلامي والكائن حالياً في شارع الجمهورية قرب مدخل سوق الشورجة.

□ بغداد / فرات إبراهيم تصوير / محمود رؤوف

### للجمعة طقوس خاصة في سوق الغزل

# الكاسكو الإفريقي والببغاء الكاريبي يجتمعان في بغداد

## معلم تأريخي وفولكلوري

لم يسلم سوق الغزل من الإرهاب حاله حال كل الشواهد التراثية والحضارية في بغداد والتي تسعى خفافيش الظلام إلى نسفها ترويجاً لحياة يمارس فيها الفعل الدنيء باسم المباح والمستحب من الأمور.

إن سوق الغزل وجامع الخلفاء ومنارته القديمة معالم تاريخية وفولكلورية لبغداد القديمة كما إن سوق الغزل أصبحت سوقاً رئيسة لباعة الطيور الأليفة من أصناف الحمام والبلابل والديكة وبقية الطيور البرية من الصقور والنسور والببغاوات والهدهد والبط والإوز وطيور الحب، فضلاً عن تلك الطيور والحيوانات التي توجد في السوق على مدار الأسبوع يقام صباح كل يوم جمعة من الأسبوع تجمع حاشد من الوافدين من كل المناطق تعرض حيوانات أخرى من فصائل نادرة من القطط والكلاب والقردة والسناجب وبعض الزواحف والسلاحف وغيرها.

## لم يسلم من الإرهاب

على الرغم من أن هذا السوق غير معني ببيع الأسلحة أو المضاربات السياسية والحزبية والتناحرات المذهبية، إلا أنه لم يسلم من التفخيخ والعبوات الناسفة التي أحالت صخب العصافير والحيوانات الأخرى، إلى عويل وخوف وألم وصراخ، قبل أيّام وضع أحدهم كيساً أسود بجانب أقفاص لعصافير الزينة وطيور الحب والكناري واجتهد كثيراً بأن ينال العصف والقصف أسماك الزينة الحمر والصفر حتى لا يقال بحقه إنه لم يكن ديمقراطياً فقام بتوزيع عباءة الموت التي لفت بين حناياها الإنسان والحيوان والطير لتحيلهم إلى أجزاء ممزقة يختلط فيها دم الإنسان بالحيوان والطير في سيمفونية عجيبة غريبة ابتدع مؤلفها صوراً أخرى للموت والخراب من عقل مريض وأهوج.

## سوق لبيع الغزول

يعود تأريخ سوق الغزل إلى العصر العباسي، وبالضبط إلى عصر المستنصر بالله الذي بنى جانب الرصافة من العاصمة العباسية بغداد وربطها بجانب الكرخ بواسطة جسر متحرك كان عبارة عن قوارب مشدودة وكان السوق وما يزال يقوم حول مسجد عباسي أطلق عليه اسم جامع الخلفاء وكان بناء المسجد قد سبق بناء السوق الذي كانت تباع فيه الغزول الصوفية كل يوم جمعة حيث استرجعنا حديثا سابقا خصنا به الشيخ المرحوم جلال الحنفي قبل وفاته عن هذا السوق قائلاً: كانت النساء تأتي إلى هذا السوق متزاحمات مع الرجال وقد غطين ملامحهن لكي لا يعرفهن أحد من أجل بيع الغزول وكان هذا السوق تباع فيه مختلف الأشياء وسمي بسوق الغزل لفتاً للأنظار والإقبال عليه والشراء منه.

اشتهرت السوق ومنذ أكثر من قرنين كأفضل مكان لتجارة أنواع الحمام الغالية كالزاجل والهنداوي والأشقر والطيور النادرة كالببغاوات الناطقة التي كانت تصل عن طريق البصرة قادمة من إفريقيا ومن سواحل الكاريبي.

يقول السيد محمد عبد الله أحد باعة الطيور بأن لديه ببغاوات ناطقة تهتف بحب العراق وقد علمها نطق هذا الكلام، وهي نوع كاسكو إفريقي ويقول بأنه ومنذ السبعينات يشتري ويدرب هذه الطيور على النطق، أما عن أسعارها فيقول إن البعض منها يتجاوز سعره خمسة آلاف دولار والبعض الآخر لا يتجاوز المئة دولار وذلك حسب نوعية ونشأة هذا الطير أو ذاك حيث إن الكاسكو الإفريقي يميل لونه إلى رمادي وذيله أحمر وهو أغلى هذه الأنواع على الإطلاق ويرغب بشرائه الكثير من مرتادي هذه السوق.

## الثعابين وطيور الحب معاً!

سوق الغزل التي تمتد طولاً وعرضاً وتدخل إلى الأزقة السكنية تحتل موقعاً متميزاً إلى جانب أسواق الشورجة وجامع الخلفاء في بغداد، تقام عادة في الصباح ولا تنتهي إلا بعد الظهر بقليل لدى إشتداد الزحام في هذه السوق يمتد طوق الحركة ليتجاوز على الشارع المحاذي لهذه السوق فتتأثر حركة السيارات بينما تتعالى أصوات الباعة في هذه السوق وغالبيتهم يفترشون الأرض عدا أصحاب المحال والبسطيات .

ولعل ما يعطي الغرابة والتميز لهذه السوق إلى جانب ما يباع فيها من قطط وسلاحف وثعابين وقردة ونسور هو بيع أسماك الزينة وطيور الحب والبلابل والحمام، يقول الحاج عادل وهو صاحب محل لبيع الطيور: بدأت هوايتي باقتناء الببغاوات لأنها طيور تتكلم وأستطيع تدريبها وأهل السوق يعلمون بأني بعت أكثر من ألف ببغاء حتى هذا الوقت وكنت في السابق أشتري الطيور المريضة وأشتري في أحيان كثيرة أكثر من مئة طير وأذهب بها إلى البيت وأقوم بمعالجتها ورعايتها فإن عاشت فأنا قد اشتريتها ببلاش وإن ماتت فلن أخسر شيئاً سوى أنه يحسب لي أجر في الآخرة، وكنت أبيع ما يتعافى منها بأسعار جيدة، ويقول الحاج عادل إن للببغاء أنواعاً منها ما يتعلم بسرعة ومنها من لا يتعلم ويشبه الأمر بطالب المدرسة الجديد فإن كان غبياً لا ينفع معه أي تدريس.

## القردة لعلاج السرطان

يحدثنا التأريخ وتراث الحكايات الشعبية عن قصص كان الحيوان فيها رمزاً للوفاء المطلق والتضحية حتى الممات في سبيل صاحبه وولي نعمته ،إلا أن كمال خليل وهو صاحب محل بيع الأعشاب الطبية وبعض الحيوانات في سوق الغزل يجد أن وفاء القردة لصاحبها أكبر ودليله على هذا هو ما شاهدناه سوية حينما تمازح أحدهم معه فكان رد فعل القردة عنيفاً عليه، سألناه عن علاقة القرد ببيع الأعشاب فأجاب: استخدم دمارات وشعر القردة في علاج حالات معينة وهذا أمر استطعنا معرفته من خلال ما مستخدم في جمهورية مالي، حيث تستخدم القردة في علاج حالات كثيرة مثل حالات الإصابة بالأوردة والشرايين كما إن الشعر يحرق ويستخدم كمرهم خارجي و يقول كمال بأنه أشفى بمشيئة الله تعالى أناساً كثيرين من أمراض السرطان وحصوة الكلى وحصوة المرارة.

## "الصحراوي" وعلاج الأفاعي

مهند سعد الذي يسميه أهالي السوق بـ"الصحراوي" لأنه كثيراً ما يرتاد الصحراء بحثاً عن النوادر من الأفاعي، يقول إن تربية الأفاعي خطرة جداً لكنه اعتاد عليها بمرور الوقت على الرغم من تعرضه للدغات وسموم الأفاعي، تحدثنا معه عن مهنته المخيفة تلك فأجاب أنا أعمل في الأعشاب الطبية وجزء من عملي يتعلق بهذه الأعشاب.

"أقوم بإخراج زيت الأفعى وجلدها الطبيعي حيث كان هذا الزيت يأتي عن طريق الاستيراد إلا أن الناس هنا تبحث عن الطبيعي، فأقوم بتوفيره لهم عن طريق اصطياد هذه الأفاعي من مناطق مختلفة مثل ديالى والموصل والرمادي وأبيعها لهم بأسعار متفاوتة حيث أقوم بذبحها وانتزاع زيتها وجلدها والبعض منهم يستخدمها لأغراض خاصة أو كهواية معينة وإن بعض الأفاعي تكون أليفة لأنها تملك فكين ولا تملك نابا ساما" ، ويضيف الصحراوي بأن أسعار الأفاعي تتراوح بين المئة ألف دينار وخمسة وعشرين ألفاً حيث إن سعر الأفعى السامة أغلى من الأفعى غير السامة.

## الأسماك للزينة والاسترخاء

ويؤكد احمد جليل صاحب محل لبيع اسماك الزينة أن حبه الشديد لهذه الأنواع من الاسماك منذ صغره هو ما جعله يستمر في هذه المهنة، وعلل جليل إقبال الناس المستمر على بضاعته بأن النظر إلى الأسماك يعطي الإنسان إيحاء بالاسترخاء ليس فقط بالتمتع بحركاتها الهادئة وإنما بالنظر الى البيئة الطبيعية التي يعيش بداخلها من نباتات ورمال وحصى، وأضاف : اظن انها افضل هواية على الإطلاق، لان الاسماك اكثر وداعة من أي حيوانات أخرى نقوم بتربيتها.

## صبغ الطيور

عشاق هذه السوق من مختلف الأعمار ،هناك من يبحث عن صنف نادر من الكلاب وآخر أضناه التعب في البحث عن صنف نادر من الطيور لا يعرفه باعة هذه السوق، بعضهم يأتي لغرض الإطلاع والمشاهدة والبعض الآخر يعرفه باعة السوق لتردده الدائم في البحث عن كل نادر وغريب، يقول أحد باعة هذه السوق بأن مطرب المقام المعروف يوسف عمر كان مربياً للطيور وكان يحب أن يكون هناك نيشان خاص بطيوره فكان يحب الطير الأشعل بالأحمر وكان يأتي لأنه يريد طيوراً سبع ريشات حمر من جهة اليمين وسبعة حمر من جهة اليسار وكان هذا الطلب غريباً وغير متوفر ويأتي آخر يريد عصفور حب أحمر، وحينما نقول له لا يوجد عصفور بمثل هذا اللون يضطر البعض إلى غشه من خلال صبغ تلك العصافير باللون الأحمر. ويقول احمد فرحان المتخصص ببيع أنواع نادرة من الحمام الزاجل أن هناك من يقتنص الباعة غير الملمين ومنهم أخذت تسمية (قفاصة) فبعض الطيور متوسطة الجودة ولها من يشتريها بسبب عدم معرفته بأنواع الطيور ومثل هذه الأنواع تشترى وتباع من دون تأخير في بداية اليوم ومنذ الصباح الباكر، أما الفاخرة منها فيحدد مكانها وتعرف أسعارها فتشترى بسعر منخفض بعد أن يتعب أصحابها وهو ما يحصل عادة قبيل انفضاض السوق ويعاد بيعها إلى كبار هواة الأنواع النادرة وبأسعار مرتفعة.

قردة وكلاب وثعابين

## ذئب في سوق الغزل

حقيقة لم يكن يدر في بالي لحظة واحدة أن أشاهد حيوانا مفترسا في هذه السوق لسبب بسيط وهو أن هذه السوق تخصصت في بيع الطيور النادرة والحيوانات الأليفة الغريبة وربما حتى الثعابين إذا ما قلنا لكل قاعدة شواذ، حيث يقول صائد الذئاب محمد مزهر: لمدة أربعة أسابيع ولم أجد مشتريا لهذا الذئب في السوق على الرغم من أن هذا الذئب الذي اصطدته في صحراء الرمادي هو من فصيلة نادرة وهو من تزاوج ذكر وأنثى نادرين ، وبسؤالنا عن الطريقة التي مكنته من اصطياد حيوان مفترس عادة ما يسير في جماعات وليس منفردا في الصحراء يقول: تمكنت من نصب فخ لقطيع من الذئاب في صحراء الرمادي حيث وقع احدها في الفخ وانتظرت كثيرا لكي أحظى بهذا الصيد الثمين وأنا اطلب ما يستحقه هذا الذئب من ثمن ولا اطلب أكثر مما يستحق.

## الأمانة ووعود التطوير

على الرغم من الغياب الواضح والصريح لجهود أمانة بغداد في إضفاء نوع من الاهتمام بهذا السوق باعتباره سوقا تراثيا ومعلما حضاريا من بغداد إلا أن القائمين على خطة تطوير السوق والمناطق القريبة منه وعدونا خيراً، فقد أعلن مؤخرا عن المباشرة بتنفيذ ثلاثين مشروعاً لتطوير مركز العاصمة بغداد بضمنها تأهيل سوق الغزل التراثي وسوق الصدرية الذي يعد من الأسواق البغدادية القديمة.

ونقلت مديرية العلاقات والإعلام أن "أمين بغداد أقر الخطة المعدة لتطوير مركز العاصمة من خلال تنفيذ ثلاثين مشروعاً تشمل عددا كبيرا من الشوارع الرئيسة والمحلات السكنية وتأهيل وإنشاء الحدائق والمتنزهات ونصب شاشات تلفزيونية عملاقة".

وأضاف أن "هذه المشاريع تشمل تطوير سوق الغزل الذي يعد جزءاً من تراث مدينة بغداد وتكليف دائرة التصاميم بإعداد تصميم جديد يتناسب ومكانته لدى أهالي بغداد إلى جانب تطوير سوق الصدرية الذي يعد من الأسواق البغدادية القديمة المشهورة من خلال رصفه بالأحجار الملونة وتنفيذ ساقية وسطية".

عند تركنا هذا السوق أدركنا انه لا احد يستطيع إحصاء الأنواع المختلفة للحيوانات في هذا السوق، ولا أعداد الناس الذين يرتادونه، كل يوم جمعة للشراء أو لرؤية الحيوانات الأليفة وغير الأليفة عن قرب، ولكن ما تأكدنا منه أن سبب استمرارية السوق ولأكثر من ستين عاما هو رغبة الناس في اقتناء الحيوانات.

الأفعى لعلاج الصلع

ببغاء ينطق باسم العراق

ذئب مفترس يتجول في السوق

القردة لعلاج الروماتزم وسم

انواع الطيور النادرة في السوق